معوقات تعلم النحو العربي وجهود في التيسير

د.إسماعيل ونوغي
(جامعة محمد بوضياف-المسيلة)

الخلاصة:

على الرّغم من الدّور الكبير الذي يلعبه النّحو العربي في مجال الإعراب، ومع عظمة الوظائف المهمّة التي يقوم بها في مجال حفظ اللسان العربي من الخطإ والزّلل والانحراف اللغوي، والسّعي إلى تحقيق الكتابة الصحيحة والقراءة السليمة، إلاّ أنّ الشّكوى ماتزال قائمة من تدريسه ومن تعلّمه، بل تزداد يوما بعد آخر سواء من قبل المعلّمين أم المتعلّمين، بسبب مجموعة من المعوقات, ولكن توجد بعض الحلول التي تعين على تيسير تدريس النحو العربي وتعلّمه.

الخلاصة باللغة الفرنسية:

Résumé:

Bien que le rôle important joué par la grammaire arabe dans l'expression, et à la grandeur de l'importance des fonctions exercées par la conservation de la langue arabe de l'erreur et de dérapage et l'écart linguistique, et la poursuite de l'écriture correcte et lecture adéquate, Mais la plainte est toujours une liste de l'enseignement et de l'apprentissage, mais augmentent jour après jour, que ce soit par les enseignants et, en raison de divers obstacles, mais il y a des solutions qui contribuent à faciliter l'enseignement de la grammaire arabe et apprendre.

الخلاصة باللغة الانجليزية:

Conclusion:

Although the large role played by Arabic grammar in expressing, and with the greatness of the important functions performed by the conservation of the Arab tongue of the error and slippage and linguistic deviation, and the pursuit of writing correct and proper reading, But the complaint is still a list of teaching and learning, but are increasing day after day, whether by teachers or learners, because of a variety of obstacles, but there are some solutions that help facilitate the teaching of Arabic grammar and learn.

منطلق:

يلعب النّحو العربي دورا كبيرا في تقويم اللسان وإصلاح الكلام، ولا يمكن لنا أن نتصور لغة من غير قواعد نحوية تستند إليها, إلاّ أنّ الشّكوى من تدريس النحو العربي ومن تعلّمه، ما تزال قائمة وحاضرة إلى يومنا هذا بل تزداد مع مرور الأيام سواء من قبل المعلّمين أم من المتعلّمين, وهذه الدّعوى ليست حديثة، ولكنّها بدأت منذ القديم، إذ كان هذا من أوائل النحاة ومن جاء بعدهم من العلماء العرب في مجال اللغة العربية، وخاصة لّما اتّصل هؤلاء وغيرهم بفلاسفة اليونان والمنطق الأرسطي وعلماء الكلام، ويبدو أنّ صعوبة النّحو ظهرت نتيجة لتعقّد فلسفة النّحو وكثرة الآراء، وتعدّد المسائل النحوية، ومن ثمّ ظهرت المختصرات والمتون والحواشي لتسهّل حفظ النّحو وفهمه، وكان هذا نتيجة لتشعّب مسالكه، وتعقّد مسائله، كما أدّى ذلك أيضا إلى ظهور المدارس النّحوية البصرية والكوفية والبغدادية والأندلسية والمصرية، وكثرت الخلافات فيما بينها، ولا يسمح المجال هنا لعرض تلك الخلافات الكثيرة والمتنوعة في المسائل النحوية والصّرفية. ومن الواضح أنّ مظاهر هذه الصعوبات التي تجعل تعلّم النحو عسيرا، منها ما يتعلّق بشساعة اللغة العربية وضعف المتعلّمين لها، ومنها ما يتعلّق بمادّة النحو نفسها، وأخرى ما يختصّ بالمعلّم وطريقة تدريسه ويمكن أن أوضّح ما أمكن هذه النقاط لأهمّيتها وخطورتها.

أولاــ الصّعوبات البادية في تعلّم النّحو العربي:

أرجع طه حسين صعوبة النّحو إلى تغيّر الحياة والعقول، فقال: « قد تغيّرت الحياة وتغيّرت العقول وأصبح النّحو القديم تاريخا يدرسه الاختصاصيّون ولم يبق من نحو ميسّر قريب لتفهمه هذه الملايين الكثيرة من التّلاميذ.» [1] والحديث هنا يتعلق بتعلم النحو العربي القديم الذي ليس في متناول المتعلمين في العصر الحالي، لذلك فلا يتعلمه إلا المتخصصون الذين يملكون قاعدة نحوية معلومة تعينهم على ذلك. ولعلّ النحو كما قال محمد عيد: « ليس هو الكلام، لكنه

ضروري لإصلاحه وتقبله، والنحو إذا استخدم بقدر حاجتها منه وفائدته لها كان مقبولا مساغا أما إذا جاوز الحاجة والفائدة إلى الإكثار والتزيّد دون الحاجة فإنه حينئذ يكون عبءا في ذاته، حيث يصعب فهمه واستيعابه.» [2] واضح في هذا القول أن الحديث يدور حول النحو التطبيقي الذي درسه المتعلمون ليحفظ ألسنتهم من الأخطاء النحوية واللغوية الناجمة عن ذلك، ويركز على ضرورة تعلم المادة النحوية اللازمة في حالات مخصوصة، وإلا كان النحو حملا ثقيلا على التلاميذ، ولا يتبع هذا إلا نفور المتعلمين من تلقيه. وصارت هذه المسألة ظاهرة واضحة للعيان، إذ جاء في بعض الآراء: « إن الظاهرة الواضحة الماثلة أمامنا هي استصعاب الشباب للقواعد، وجهلهم بها، ولا مناص لنا من الربط بين قواعد اللغة والنصوص الأدبية في مناهج الدراسة، فإن أهمية ذلك وفائدته وأثاره واضحة للعيان كل الوضوح، فالنصوص الأدبية يجب أن تكون أساسا قويا لدراسة قواعد اللغة، وتخير النصوص تخيرا سليما هو أهم ما في الأمر لأنه الأساس الذي سيبنى عليه الخروج إلى منهج جديد في دراسة قواعد اللغة.» [3] ومن أسباب ضعف اللغة والمؤدّي إلى ضعف المتعلّمين:

1) ــ تميّز لغة عن لغة أخرى:

إن لكلّ لغة خصائصها ومميّزاتها الخاصّة بها، وربما تعود صعوبة اللغة العربية إلى صعوبة نحوها والمواد المشكّلة لها, لأن النحو العربي كُتب منذ قرون، ولا عجب إن تغيّر بعض الشيء عمّا كان عليه من قبل، وما من شكّ أن غرض المحاولات الجارية حاليا هو تبسيط ما أمكن من قواعد النحو العربي حتّى يفهم ويُحفظ وتُحفظ به اللغة العربية.

ولا عجب أنّ الكثير من التلاميذ والطلبة يُعانون من صعوبة اللغة العربية وبالأخصّ صعوبة النّحو وقد عُرف هذا من خلال الدّراسات التي أجريت لمعرفة مدى إقبال المتعلّمين في كل المستويات على تعلّم مادّة النحو العربي أو الانحراف عنه, ولقد أرجع الدّارسون والمحللون سبب انصراف هؤلاء الطلبة عن دراسة

اللغة هو قواعد اللغة العربية، وهذا لصعوبة المادّة، وعدم القدرة على تحصيلها، وكذلك طريقة تدريس هذه المادّة، فلذلك صار من الواجب الاهتمام بهذه المادة وظروف تعليمها. وفي هذا المجال رأي للأستاذ ناصر لوحيشي إذ قال: « وإذا كان لكلّ لغة في الدّنيا ما يميّزها عن غيرها فإنّ اللغة العربية انحازت عن جملة اللغات، فكانت أمتنها تركيبا، وأوضحها بيانا، وأعذبها مذاقا.» [4] ففي هذا القول تنبيه إلى امتياز اللغة العربية عن غيرها من اللغات الأخرى المستعملة في العالم.

2) ــ تميّز اللغة المكتوبة عن اللغة المنطوقة:

من الصعوبات كذلك اختلاف اللغة المنطوقة عن اللغة المكتوبة، ويبدو في الفرق الموجود بين اللغة الفصحى (الأم) واللهجة العامية، وإن كان هذا الازدواج طبيعيا بين اللغة الفصحى والعامية، إلاّ أنّ ذلك يُؤثّر إلى حد بعيد في إضعاف اللغة الأم، وفي هذا المجال ذكرت عائشة عبد الرحمان قولها: «...تتعقد بهذا أزمتنا اللغوية فيميل بعضنا إلى التخفف من قيود الفصحى ويجد في العامية حرية وانطلاقا...» [5] ويُلاحظ أنّ إسهام المعلّم في هذا الجانب ظاهر، إذ إنّ كثيرا من مدرّسي اللغة العربية لا يلتزمون باللغة العربية الفصيحة أثناء تقديم الدّروس للطلبة والتّلاميذ داخل المدرسة وخارجها، كما للبيت والأسرة أهمّية كبرى في تحريض الأولياء على التّحدث باللغة الفصحى، إذ لذلك انعكاس سلبي كبير على الأبناء، كما يلعب المجتمع دورا خطيرا في عدم التزام أفراده بالحديث باللغة العربية الفصحى. ومن أسباب التّخلّي عن اللغة العربية الفصحى، والاستغناء عن قيود القواعد النحوية والصرفية, هو كما ورد عند الأستاذة عائشة عبد الرحمان في قولها: «..أخذت لغة الحياة والتّعامل حريتها في الحركة والتّوسّع، فتخلّت عن كثير من قيود الإعراب مستغنية عنها بنسق التركيب ودلالة السّياق.» [6] ولا ننسى المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتق وسائل الإعلام سواء أكانت المرئية والمقروءة منها أم المسموعة من عدم استعمال اللغة الفصيحة، وبطبيعة الحال ينعكس ذلك سلبا على الطلبة والمتعلّمين، وهذا ما أدّى كذلك بالتلميذ إلى النّفور من تعلّم

اللغة كلما دعي إلى تعلمها، ولذلك اتّضح أنّ من أهم معوقات تعلم اللغة العربية الفصيحة هو عدم استعمالها في كلّ المجالات المعيشة؛ في الإدارات والمؤسسات العمومية بمختلف طبائعها وشرائحها، ويمكن أن نقول في كلّ مجالات الحياة.

3) ــ بعض الصّعوبات المتعلّقة بمادّة النحو العربي في ذاته:

ومن بين هذه الصّعوبات اعتماد النّحاة على المعيارية، مع عدم التركيز على منطق اللغة وطبيعتها الوصفيّة، ويبدو هذا في طريقة التّعبير في كثير من كتب العلماء العرب في مجال النّحو والبلاغة والصّرف.. ومن بين تلك الصّعوبات كذلك تأثّر واضعي علم النّحو بعلم الكلام، بإيراد كثرة الأقوال وتشعب المسائل، والاعتماد على التّحليل المنطقي في القواعد العربية، ممّا أدّى مع ذلك إلى جفاف مادّة النحو وصعوبتها، والتماس أقوال بعيدة كلّ البعد عن واقع الحياة العلمية والعملية التي يعيشها التّلاميذ والمتعلمون، والتّركيز على منطق اللغة وطبيعتها الوصفيّة، ويبدو هذا في طريقة التّعبير في كثير من كتب العلماء العرب في مجال النّحو والبلاغة والصّرف.. ولا ننسى أن من مظاهر عسر النّحو أيضا كثرة العوامل النحوية وتشعّب التّفاصيل التي تندرج تحت أسس النّحو العربي، ومن الصّعوبة كذلك ما يبدو في وضع برامج تعليم القواعد العربية لدى المشرفين على التّعليم في المدرسة الجزائرية، ففي هذه المسألة يد تساهم من بعيد أو من قريب في وضع المقرر الصعب والبرنامج العسير على المتعلّمين.

4) ــ صعوبات تتعلّق بالمعلّم وطريقة التّدريس:

لا شكّ أنّ لطرق تدريس قواعد النحو العربي دخلا كبيرا إمّا في صعوبتها أو في سهولتها، فالطّريقة الجافّة التي لا تستثير همم التلاميذ، ولا تُرغّبهم في طلب المادّة المدروسة تُشكّل عائقا كبيرا في نجاح العملية التّعليمية وفي إيصال المعلومات الكافية والمطلوبة على الأقل، وهذا ما يركّز عليه علماء العصر الحديث في الدول العربية عموما وفي الجزائر على وجه الخصوص، وهاهي الأستاذة ظبية السليطي

تُؤكّد ذلك في قولها: « يرى بعض الباحثين أنّ صعوبة النحو لا ترجع إلى طبيعة القواعد النحوية، وما بها من تجريدات وتأويلات، بل ترجع إلى طريقة التّدريس، وإعداد المعلّم.» [7] وقد أضاف الأستاذ محمد كبريت في هذا المجال صفات كثيرة وهامة يجب على المعلم أن يتصف بها منها ما له علاقة بالمستوى المعرفي للمعلم ومنها ما له علاقة بشخصيته وأخلاقه، قال: « صفات المعلم وخصائصه الجسمية ... صفات المعلم وخصائصه المهنية... صفات المعلم وخصائصه الاتّصالية..» [8]

أمّا الأستاذ عبد المنعم فقد أشاد بالمهمة التي يقوم بها المعلم إذ قال: « إنّ المهمة التي يقوم بها المعلّم منذ القدم مهمة جليلة وخطيرة في الوقت ذاته.» [9] ومعنى ذلك أن المعلم لا يستهان بوظيفته التي يقوم بها تجاه المتعلمين. وقد تعرض الأستاذ حسن إلى مجموعة من الفضائل التي لا غنى للمعلم عنها منها: « أن يقدم طهارة النفس على رذائل الأخلاق، ألاّ يتكبر على العلم...ألاّ يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله...» [10] ولطرق تدريس قواعد النّحو العربي دخل كبير في صعوبتها وسهولتها، وهي التي ترغّب التلاميذ في دراسة النحو أو في الرغبة عنه، فيقتضي بذلك أن يكون المعلم على دراية بالطريقة الحديثة المناسبة التي تثير اهتمام المتعلّمين وتحفّزهم على الدراسة. ولتحصيل هذه الغاية وتحقيقها لابد من جو خاص ومؤهلات معينة يتمتع بها المعلم, وكما قال حسن ملا عثمان: « وما من شكّ أنّ تدريس قواعد اللغة يتطلّب اكتساب المعلّم زادا معرفيا في علوم النّحو والصّرف وعلم المعاني وإلاّ فاقد الشّيء لا يعطيه.» [11] فالتّلاميذ إذن مختلفون؛ فمنهم من يُحبّ مادّة قواعد النّحو ويتشوّقون إلى دراستها وهم قلة، ومنهم من ينفر من تعلّمها وهم كثُرٌ، ويرجع ذلك بصورة واضحة إلى طريقة التدريس وإلى مهارة المعلم والأستاذ، فالأستاذ الناجح هو الذي يستطيع أن يستخدم الطريقة المناسبة في الوقت المناسب وهو القادر على جلب انتباه الطالب وتركيزه من خلال طريقته الذكية والمميّزة, وهذا سيُولّد من غير شكّ فعالية بين التّلميذ والموقف

التعليمي، لأنّ جمود طريقة التعليم، وسبيل تدريس النحو، وعدم التغيير إلى ما هو أفضل يشكّل عاملا كبيرا في صعوبة تعليم النحو ولأن طرق التعليم فيها من المزايا والمحاسن ما هو جدير بالتّمسّك به، وفيها ما يقتضي استبداله بما هو أفضل حسب ما يتطلّبه التطور الذي يشمل كل جوانب الحياة.

ولا شكّ أنّ إهمال جانب التّذوّق والإحساس في دراسة القواعد يُساهم بقسط كبير في الاهتمام بها وتعلّمها، وللمدرّس مسؤولية معتبرة في هذه القضية، لأنّ التّلميذ إذا لم يشعر بأنّ المادّة التّعليمية تنفعه فإنّه بالتّأكيد ينصرف عنها، فصار بعد ذلك من بالغ الأهمّية أن يعرف الأستاذ والمتعلّم على حدّ السّواء الغاية من تعليم النحو وتعلّمه، ويمكن لهذا الجانب أن يتّخذ أساليب مثل مراعاة ربط القاعدة النحوية بالمعنى، وقد أشارت بحوث كثيرة في علم النفس التّعليمي ألى أهمية فهم الطالب معنى ما يتعلّمه، لأنّ ذلك الفهم والاستيعاب يُشجّعه على الاستزادة من طلب المزيد، ولهذا بات من مستلزمات التعليم أن يوضع مخطط سليم في سنّ المناهج وبنائها، والتّدرّج معها حسب مستوى التلاميذ والطلبة في مختلف مراحل التعليم المختلفة، ولا ينبغي أن يُهمل ملاءمة متطلبات العصر الذي نعيش فيه وذلك بمسايرة أحدث الاتّجاهات التربوية الحديثة.

وما دمنا بصدد الحديث عن المعلّم والإشارة إلى دوره الخطير في مجال التعليم فإنّه من الضروري إعداد هذا المعلم وتكوينه التّكوين السّليم، لأنّ المعلم يعاني في الوطن العربي عموما ضعفا شديدا سواء أكان ذلك الضعف في إعداده الأكاديمي أم المهني، وبذلك يجب أن تعمل الهيئات المختصّة على جعل المدرّس واعيا ومثقفا ثقافة لغوية تمكنه من إعانة التلاميذ في مجال قواعد النحو العربي، كما تعمل على أن يكون مطّلعا على أحدث الاتّجاهات التربوية الحديثة التي تعينه في عمله.

ثانيا- محاولات في تيسير النحو العربي:

تيسير النحو العربي عملية قديمة:

لقد تعدّدت جهود تيسير النّحو منذ القديم، وما زالت المحاولات قائمة إلى يومنا هذا، وليس الغرض من وراء ذلك إلاّ إعطاء صورة ميسّرة عن أهمية النّحو العربي ومنزلته في اللغة العربية، ولو أردنا استعراض بعض تلك المحاولات الهامّة في تيسير دراسة النحو لوجدناها قديمة قدم ظهور النّحو أي في القرن الثاني الهجري، ويبدو أنّ خلف بن حيّان الأحمر البصري (ت180هـ) من الأوائل الذين حاولوا إصلاح النّحو العربي وكان هذا في رسالة ألّفها بعنوان (مقدّمة في النحو) وقد أبدى فيها تذمّرا من عدم اهتمام النحاة بما يحتاج إليه المتعلّم من دروس في النحو وما لاحظه من إسراف وتطويل في المواضيع النحوية، وله نصّ في هذا المجال قال فيه: «لمّا رأيت النّحويين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التّطويل وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلّم المتبلّغ في النحو في المختصر والطرق العربية والمأخذ الذي يخفى على المبتدئ حفظه ويعمل في عقله ويحيط به فهمه، فأمعنت النّظر في كتاب أؤلّفه وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به المتعلّم عن التطويل، فعملت هذه الأوراق.» [1 2] ويبدو من الضّروري في هذا المجال التّعريج على ابن مضاء القرطبي (ت592هـ) وما قام به من محاولات جديدة في تيسير النّحو من خلال آرائه الواردة في كتاب (الرّدّ على النحاة) وكان ذلك في القرن السّادس الهجري وقد عدّ العلماء الجهود التي بذلها ابن مضاء في كتابه بمثابة ثورة على فلاسفة النحو، وقد طالب بإلغاء نظرية العامل والمعمول، وألغى كثرة التّأويلات, وعلى العموم فقد سعى ابن مضاء بآرائه تلك إلى تصفية النّحو من كلّ ما يراه غير مرتبط بنطق العرب ولغتهم وهو يركز على قواعد اللغة البسيطة التي لا تحتاج معرفتها إلى عسر في الفهم.

تيسير النحو العربي في العصر الحديث:

أما في العصر الحديث فقد توالت المحاولات والمجهودات بصورة واضحة وكانت أوائلها في نهاية الأربعينيات في المشرق العربي من بينها ما قام به شوقي ضيف وما أسداه من آراء في تجديد النحو العربي، وقد اعتمد في ذلك على أسس هامّة من بينها إعادة تنسيق النحو العربي، والاعتماد على الآراء التي نادت بالتّجديد ولو كانت من غير عصرنا، إضافة إلى الاستعانة بآراء لجنة المعارف المصرية، والاعتماد على قرارات مجمع اللغة العربية... وغير ذلك من الاقتراحات والتوجيهات، وكذلك إبراهيم مصطفى وآراؤه في إحياء النّحو ففيه دعوة إلى وجوب الاهتمام بمادّة النحو العربي وضرورة إعادة النظر في بعض المواضيع بصياغة جديدة؛ إذ قال: « كان سبيل النحو موحشا شاقا ... أطمع أن أغير منهج البحث النحوي للغة العربية، وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو، وأبدلهم منه أصولا سهلة يسيرة، تُقربهم من العربية، وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها.» [13] ويشير الأستاذ محمد صاري إلى أنه: «على الرغم من تلك المحاولات الجادّة في تيسير النّحو إلاّ أنّ النّتائج تبقى متواضعة، وهناك من يرى أنّ ما قام به المساهمون في التّيسير أغفلوا أزمة النحو التربوي في ظل التعليمية أو علم التدريس (Didactique) أي أنّها لم تبحث عن حلّ لهذه المسألة، على الرغم من أنّها فرع هام من فروع اللغة، وهو وقوع خلط بين النحو العلمي التحليلي المجرّد، والنّحو التعليمي الوظيفي، والأغرب أنّها أرجعت مسألة تعقّد القواعد إلى المادّة النحوية في حدّ ذاتها، ولم تشر إلى الطّريقة، هذا مع العلم أنّ جوهر المشكلة هو الطريقة التي يعرض بها النحو على المتعلّمين، فلغتنا العربية غير مخدومة تربويا وطرائق تدريسها متخلّفة جدّا.» [14] كان النحو العربي يركّز على جمع الأسس التي تنبني عليها اللغة العربية وكان يقف فيه العلماء الأوائل على جمع الأصول اللغوية التي ترتكز عليها اللغة العربية، ولم يكن هناك اهتمام بنفس الدرجة بالطّريقة ونفس الدرجة بالمتعلّمين، ويواصل الأستاذ صاري موضحا معنى التّيسير

بقوله: « إنّ التّيسير لا يعني استبدال مصطلح مبهم بآخر جليّ واضح، أو بتعويض تعريف معقد بآخر سهل مبسّط، أو بإعداد مقرّرات مختصرة عوضا عن المقرّرات الطويلة المكثّفة، أو بحذف أجزاء من النّحو والإبقاء على أجزاء أخرى.. وإنّما التّيسير هو:

أوّلا- انتقاء علمي للمادّة النّحوية، يتضمّن تأمّلا وتفكيرا في طبيعة هذه المادّة المدرّسة، وكذلك في طبيعة وغايات تدريسها، ثمّ إعدادا للفرضيات الخصوصيّة انطلاقا من المعطيات المتجددة والمتنوّعة باستمرار في اللسانيات وعلم النّفس وعلم الاجتماع والبيداغوجيا..

ثانيا- عرض جديد لموضوعات النّحو، وترسيخها بطرق حية جذّابة فيها إبداع وابتكار، وهنا ينبغي أن تنصبّ جهود التّيسير. والنتيجة التي يمكن أن نخلص إليها من خلال فشل جميع محاولات التّيسير، أنّ أزمة النّحو التي تشكّلت في الميدان التّربوي، من الصّعب حلّها بنجاعة بعيدا عن الحقائق التي أثبتها المختصّون في حقل التّعليمية.» [15] يركز الأستاذ صاري في هذا القول على جانين هامين؛ الأول منهما له علاقة باختيار المادة النحوية المقررة, والثاني هو اختيار الطريقة التدريسية المناسبة لكافة مستويات التعليم. وللأستاذ صالح بلعيد اقتراحات هامّة في موضوع تيسير النّحو العربي في مقال تناوله ضمن أعمال ندوة تيسير النّحو لسنة:2001م بالجزائر، إذ بعد أن عرض لمواطن تعقيد النّحو العربي منذ القديم وذكر مجموعة من الأخطاء التي وقع فيها العلماء العرب في القديم وعقب حديثه بإيجاز عن المدارس النّحوية وخصائص كل مدرسة على حدة، خلص كلامه إلى وجوب التّعامل بنزاهة مع مادة القواعد العربية، وليس من المفيد أن تضيع أوقاتنا وجهودنا الفكرية فيما لا يعود بالمنفعة على اللغة العربية ولا على أصحابها، وانتهى في الأخير إلى ضرورة: « تخليص النّحو ممّا علق به من تلاطم الآراء وتنازع المذاهب وتحيّز الأفراد... وقراءة التّراث النّحوي قراءة عصرية واستلال القواعد

منه، إلى جانب إعادة صوغ قواعد بسيطة سهلة متدرّجة بالتّركيز على ما كان مستعملا وبسيطا..»[16] واقترح الأستاذ بعد ذلك الاهتمام بمسألة شكل الكلمات العربية، إذ قال: «هناك نقطة أساسية أريد فتحها في هذا المقام، وهي مسألة الشّكل باعتبارها جزءا هامّا في حلّ مشكل النحو العربي، فإذا كان النّصّ مشكولا يُقرأ قراءة صحيحة ويسهل البحث عن إعرابه، لكن غياب الشّكل يسبّب اللبس.»[17]

ولا ننكر ما تقوم به المجامع العربية في مجال وضع المصطلح في اللغة العربية والعمل على أن يكون دقيقا مواكبا للتّطوّر الذي تشهده الحياة في كلّ المجالات، وتلك الأعمال تتسم بالدّقّة والموضوعية، وكذلك ما يقوم به المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر في كل مرة، عن طريق عقد ندوات واجتماعات، والجزائر من بين دول العالم العربي التي تولي أهمية بالغة ببرامج تعليمها لأن أولي الأمر أدركوا جليا المسؤولية الكبيرة الملقاة على أعناقهم في حق الأجيال القادمة، وتمثل هذا في العمل الميداني إذ تعقد في الجزائر المؤتمرات والملتقيات سواء أكانت على مستوى الوطن المحلي أم على مستوى الوطن العربي، ففي مدينة الجزائر من سنة: 1976م عقد اتّحاد المجامع اللغوية العلمية ندوة بعنوان (تيسير تعليم اللغة العربية) ومن الموضوعات الأربعة المبحوث فيها تعليم النحو العربي وهو الموضوع الذي يعنينا بالدّرجة الأولى في هذا البحث، وبعد مداخلات ومناقشات مستفيضة، خرجت الندوة بعدّة توصيات منها ضرورة الرّبط بين علم النحو ومفهوم الدّلالات، واستخلاص الشّواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشّريف والنصوص الأدبية، إضافة إلى التركيز على ما يستعمله الطّلاّب في حياتهم، وتجنّب كثرة التّعليلات في الإعراب، والعناية بالنّطق العربي السّليم، ولم يغفل المشاركون العلاقة الوثيقة بين النّحو والمعنى، وعدم تعقيد المواضيع النّحوية بإلزام المتعلّمين بما لا طاقة لهم به، وإرجاء ذلك إلى الدّراسات المستقبلية أي في الجامعات والكلّيّات. وبين يديّ من ثمرة تلك الأعمال الهامّة مؤلّف يحمل بين طيّاته مجموعة

من المقالات والعناوين التي ألقيت في المكتبة الوطنيّة بالحامّة بالجزائر في اليومين الثّالث والعشرين والرابع والعشرين من شهر أفريل من سنة:2001م وقد انصبّت جهود المشاركين في هذه النّدوة حول تيسير النّحو، والعنوان الذي جعل شعارا لهذه النّدوة هو (أعمال ندوة تيسير النحو) من بين تلك الجهود ما شملت الدّرس النحوي مشكلاته ومقترحات تيسيرية، وقراءات تمهيدية في تيسير تعليم النحو في الأندلس، وتيسير النّحو العربي، التيسير لا التّعسير، وتجديد النحو العربي وتيسير النحو العربي والموضوعات الصّرفية وفق منهج عربي جديد، وتعليمية النّحو... إلى غير ذلك من المواضيع الهامة التي تناولها الأساتذة المشاركون في تلك الندوة وليس الغرض من وراء هذا العمل المصيري إلاّ توفير مجال تربوي ناجح يعمل على كشف عيوب التربية والتعليم وطرق التدريس لإعادة صياغتها الصياغة الصحيحة والمستقيمة.

دور المجامع العربية في تيسير النحو العربي:

إنّ الاهتمام بمسألة تيسير النحو العربي وتقريب مواضيعه إلى الأفهام ليست مقتصرة على الدولة الجزائرية فحسب بل مسألة توزع الانشغال بها في كلّ الوطن العربي، وما المجامع العربية إلاّ خير دليل على ذلك، ولقد كانت لهذه المجامع مجهودات جبارة وكانت لها منزلة رفيعة من حيث أهميتها وفعاليتها في خدمة اللغة العربية في كلّ جوانبها، وإنّ أوّل مجمع علمي عربي تأسّس في دمشق سنة: 1919م، ثم تبعه المجمع العلمي بلبنان، ثم القاهرة، ثم العراق، ومكتب تنسيق التّعريب بالرّباط، ثم مجمع اللغة العربية بالأردن، ثم المجمع الجزائري للغة العربية سنة: 1986م. ويعدّ مجمع القاهرة من بين المجامع العربية التي اختصت بنشاط واسع وعميق, إذ امتاز هذا المجمع العربي بعمل دؤوب منذ تأسيسه، وإنّي لست بصدد سرد الأعمال الهامّة والكثيرة التي قام بها هذا المجمع في القاهرة، ولكنّي أركّز فيه فقط على الجهود التي بذلها أعضاؤه في مجال ما تعلّق بالنّحو العربي وما

له من فضل في جمع قواعد اللغة العربية، والحفاظ على أسسها، وقد كان من منطلقات المجمع الجوهري: صعوبة النّحو العربي وتعقّد أبوابه، ممّا يستدعي ذلك الانطلاقة الجادّة في الكشف عن مواطن الصعوبة والتّعقيد, وتشعّبت الآراء بين عودة تلك الصّعوبة إلى المادّة النّحوية ذاتها وجفافها، أو إلى الطرق التّعليمية ومناهج التّعليم والذي يهم من هذا وذاك هو التنبه إلى مسألة دراسة اللغة في جانبها النحوي نظرا لكون اللغة العربية من غير معرفة قواعدها الأساسية التي تقوم عليها شيء جدير بأن يوقف عنده ويبحث في تفاصيله. ولقد اتّخذ مجمع اللغة العربية في القاهرة قرارات جريئة مستندا إلى ضرورة تيسير النّحو مع مراعاة مستجدّات العصر، وتحمّل العلماء وأهل الفكر هذا العبء، وانطلقت الأقلام ليست فقط من مصر ولكن من كلّ الأقطار العربية لتساهم بما تيسر في مجال الدراسات النحوية المختلفة. وممّا لا شكّ فيه أنّ المجمع الأخير ساهم من قريب أو من بعيد في خدمة اللغة العربية وقضاياها الرّاهنة وعلى سبيل المثال لا الحصر ما قام به الأستاذ صالح بلعيد عندما اختار: « مصطلحي المسند والمسند إليه كما فعل علماء البلاغة وبعض النّحويين قديما.» [18] ويُعدّ هذا الاقتراح الذي أصبح قرارا فيما بعد أهم ما اتّخذه مجمع اللغة العربية في القاهرة، والخلفية من هذا القرار هو أنّ مصطلحي المسند والمسند إليه ينسجمان مع منطق اللغة العربية وغير العربية، لأنّ أهمّ ما في الجملة أيّ كانت هو علاقة الإسناد ولا يخفى على أحد أهمّية هذه العلاقة في عبارة أو تركيب.

والجدير بالذّكر أنّ المجمع لم يحسم في قضية نفور الطّلبة من مادّة النّحو بالوصول إلى سبب واضح ودقيق وربما هذا من بين الأسباب التي جعلت الجهود التي بذلها المجمعيّون محدودة الفاعلية، وهذا باعتراف أعضاء المجمع أنفسهم، ومن بينهم الأستاذ محمد رشاد الحمزاوي أحد المجمعيين البارزين يقول في هذا الصّدد: «إنّ أعمال المجمع في هذا الميدان لم تُحقق نتائج باهرة لأنّ النحو العربي مُثقل

بقضايا ومشاكل لم يُعتن بها اعتناء كافيا... وكثيرا ما لاحظنا فشل المحاولات الإصلاحية التي ظلّت مجرّد مبادرات لا تسمن ولا تغني من جوع إلاّ أنّها تفيد أنّ مشاكل النحو العربي المعاصر تقرّ بوجوب دراسات أساسية ومركّزة للوصول إلى اعتماد إصلاحات مهمّة وضرورية.» [19] ولا نحكم ـ انطلاقا من هذا القول ـ على أن المبادرات التي يقوم بها الأساتذة والعلماء غير مجدية، وإنما تبقى تلك الجهود موفقة ولو بدرجات متفاوتة.

خاتمة:

في الأخير أشير إلى أن التيسير النحوي المحمود هو الذي يكون بين المحافظة والتجديد, وقد ساد هذا الاتجاه في الدراسات النحوية المعاصرة بصورة ملحوظة، ولاسيما في الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي، وليس المقصود بالتيسير هو تلك المغالاة التي تدل على عدم الاطلاع على التراث النحوي العربي والتبحّر فيه، ولا هو تناسي فضل النحاة الأجداد الذين اعترف بفضلهم علماء اللغة الأجانب، وأشادوا ببراعتهم قبل العلماء العرب المعاصرين. وعلى الرغم من عدم اتفاق أصحاب التيسير النحوي المعاصر على مفهوم محدد للتيسير، فقد ذهبوا مذاهب شتى، كما اختلفوا اختلافات كثيرة في المسائل النحوية. بل لم يتّفقوا على اصطلاح واحد لهذه الحركة التي تفاقمت في العقود الأخيرة، فمنهم من اصطلح عليه بمصطلح: التيسير، ومنهم من سماه: إصلاح وإحياء، وتجديد، وتبسيط، وتقريب، وتعريب وغير ذلك. ولكن يبقى الهدف واحدا هو محاولة جادة لتقديم مادة نحوية عربية ميسرة تصلح أن تتخذ قواعد صلبة للمحافظة على لغة التنزيل, كما أجمعوا على أنه محاولة لتقريب النحو للناشئة ولغير المتخصصين من المثقفين. أو محاولة لإعادة النظر في القواعد النحوية القديمة وطرحها بأسلوب علمي رصين في ضوء التراث، أو تقديم النحو مبرأ من العلل والتفريعات والتأويلات، سهل التناول قريب المأخذ من أذهان المتعلمين باستخدام مناهج وطرائق تربوية مختلفة. ومنهم مَنْ فرّق بين التجديد والتيسير، فالمحافظون يقصرونه على الحذف

والاختصار، والتغيرات الشكلية، وإعادة ترتيب الأبواب النحوية، وتقريب ما تعقد منها من غير المساس بجوهر النحو. أما المجددون فيرون أن ذلك لا يحلّ المشكلة ولا يعين على تذليل الصعوبة منه، بل هي مهمة تربوية خالصة لذا اشترطوا أن تسبقه خطوة جريئة تتوخى إحياء النحو وإصلاحه أو تجديده، ثم تيسيره وتقريبه. ويمكن أن نمثل في ميدان تيسير النحو العربي بالأستاذ عباس حسن الذي يعدّ من القلة الذين خبروا التراث العربي وعرفوا قدره، لذلك لم يغل غلوهم ولم يتابعهم في حملتهم على التراث النحوي. فقد وقف موقفاً وسطاً بين هذه المنازع المختلفة، فهو محافظ ومجدد في آن واحد. محافظ بالتزامه التراث النحوي وانطلاقه مما انتهى إليه النحو عند النحويين المتأخرين، ومجدد لأنه حاول أن يقدّم نحواً معاصراً خالياً من الصعوبات ومما داخله من شوائب أساءت إليه من غير المساس بجوهر النحو واللغة. وذلك من خلال كتابيه؛ يمثل الكتاب الأول (اللغة والنحو بين القديم والحديث) الجانب النظري لمحاولاته تيسير النحو العربي ومعالجة مشكلاته التي يعاني منها ويمثل الكتاب الثاني (النحو الوافي) الجانب التطبيقي، الذي يعدّ من أهم المراجع النحوية الحديثة المعتمدة لدى الطلبة والمتخصصين, ويُعدّ نهضة كبيرة في التأليف النحوي الحديث.

إن التيسير النحوي لا يكون إلا بعد تهذيب النحو والقضاء على ما داخله من مشكلات ثم عرضه عرضاً شائقاً جذاباً بإحدى الطرائق المستحدثة الناجحة.

حواشي وإحالات:

[1] ـ طه حسين، خصام ونقد، دار العلم للملايين، ط12، بيروت: 1985م، ص192.

[2] ـ محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، عالم الكتب، دار الثقافة العربية للطباعة، القاهرة: 1979م، ص133.

[3] ـ عبد العزيز شرف، محمد عبد المنعم خفاجي، النحو العربي لرجال الإعلام، ط1، دار الجيل، بيروت: 1421هـ ـ 2001م، ص13.

[4]ـ ناصر لوحيشي "الدرس النحوي، مشكلاته ومقترحات تيسيرية" منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال ندوة تيسير النّحو المنعقدة في:23 ـ 24 أفريل2001م، الجزائر: 2001 م، ص100.

[5]ـ عائشة عبد الرّحمان، لغتنا والحياة، دار المعارف بمصر، القاهرة: 1971م، ص126.

[6]ـ المرجع السابق، ص81.

[7]ـ ظبية سعيد السليطي، تدريس النّحو العربي في ضوء الاتّجاهات الحديثة، ط1, الدار المصرية اللبنانية: 1423هـ ـ 2002م, ص39ـ40.

[8]ـ سمير محمد كبريت، منهاج المعلم والإدارة التربوية، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت: 1998م، ص7ـ 8ـ 9ـ11.

[9]ـ عبد المنعم سيد عبد العال، طرق تدريس اللغة العربية، دط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص7.

[10]ـ لصنامي خديجة "تعليميات النّحو" منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال ندوة تيسير النّحو المنعقدة في: 23 ـ 24 أفريل 2001م، الجزائر: 2001م، ص525.

[11]ـ حسن ملاّ عثمان، طرق تدريس اللغة العربية في المدارس المتوسطة والثانوية، ط2، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع. الرياض: 2006 م، ص36 ـ 37.

[12]ـ ظبية سعيد السليطي، تدريس النّحو العربي في ضوء الاتّجاهات الحديثة ، ص42.

[13]ـ إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، دط، دار الآفاق العربية، القاهرة: 2003م، ص ا.

[14]ـ محمّد صاري "تيسير النّحو: موضة أم ضرورة" منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال ندوة تيسير النّحو، الجزائر:2001 م، ص203 .

[15]ـ المرجع السابق، ص203 .

[16]ـ صالح بلعيد "شكوى مدرّس النّحو من مادّة النّحو" منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال ندوة تيسير النّحو، الجزائر:2001 م، ص429.

[17]ـ المرجع السابق, الصفحة نفسها.

[18]ـ صالح بلعيد، اللغة العربية وآلياتها الأساسية وقضاياها الرّاهنة، ص96.

[19]ـ محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1988م، ط1، ص3.